من أجل هدى

هو من أعز زملاء المكتب، هادئ، لطيف، لم يتغيب يوماً عن العمل، حتى الإجازات السنوية لا يأخذها، وكان من المفروض أن يحال على المعاش قبل عامين، ولكنه فضل الاستمرار في العمل، ولكن لا ندري اليوم سبب تغيبه.

مشكلته الوحيدة أنه يقتر على نفسه، بدلته هي نفسها، عرفته فيها قبل ثلاثين عاماً، نظارته هي نفسها، لم يغيرها، مرة وقعت فانكسرت، فلف حولها خيطاً ثم لصقها، ولم يشتر غيرها، لا يشرب القهوة ولا الشاي، ولا يدخن، ولا يشتري صحيفة، ما دعانا إلى بيته قط طوال ثلاثين عاماً. مشكلته الوحيدة هي ابنته الوحيدة، هدى، توفيت أمها وهي في الخامسة، وكان عليه أن يرعاها، لم تفلح في الدراسة، تركت المدرسة قبل تحصيل الشهادة الإعدادية، كل همه أن يوفر لها مبلغاً من المال ليشتري لها بيتاً متواضعاً، وقد استطاع، فقد اشترى لها شقة متواضعة في أقصى المدينة، ولكن عليه أن يؤثث الشقة، واستطاع أيضاً أن يؤثثها، هو يحدثنا عن ذلك بنفسه: «اليوم اشتريت خزانة بالتقسيط»، «اليوم اشتريت موقد غاز»، «لم يبق إلا الستائر»، كل أحاديثه عن ابنته.

ومشكلته الوحيدة هي الرشوة، ما إن تقع المعاملة بين يديه، حتى يصيح بصاحبها: «راجعني بعد أسبوع»، كان في البداية يلمح تلميحاً، ثم أخذ يعرض تعريضاً، كأن يشكو أمام المراجع من كثرة العمل وقلة الراتب، ثم صار يصرح تصريحاً، يفتح درج مكتبه ويقول للمراجع: «ضع هنا المقسوم»، ثم يبحلق بعينيه من وراء النظارة، و كم صاح في المراجع موبخاً : «هذا هو المقسوم؟ خذه لا أريده». أمس قال لنا: «سأقلع عن المقسوم، هو رزق من الله، إذا لم يأت من هذا الطريق فسيأتي من طريق آخر، الآن استراح بالي، أثثت الشقة، وفرشتها، واشتريت أساور ذهبية، ولم يبق إلا العريس». ولكن لا نعرف سرّ تغيبه اليوم؟ ويرن جرس الهاتف، وإذا المدير يطلبني، ليقول لي:

ـ هل تعرف منزل زميلك عباس؟

ـ نعم

ـ خذ أحد زملائك، واشتر إكليل زهر لتشارك في التشييع.

سألت مدهوشاً:

ـ عباس مات؟؟

ـ لا، ابنته هدى ماتت.